حفظُ الله تعالى لرسوله سيدنا محمد

صلى الله عليه وسلم

مِن مَساوئ الجاهليّة منذ حَداثة سنِّه

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب
(سيدنا محمد رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم)
من الصفحة 494 حتى الصفحة 498

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناءً على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم: كتب الإمام
تحميل كتب الإمام وتحميل أبحاث مختارة

مدير الموقع:
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

حفظ الله تعالى لرسوله سيدنا محمد ﷺ من مساوىء الجاهلية منذ حداثة سنه

لقد حفظ الله تعالى رسوله الكريم في منشئه ومرباه ، فشبَّ سيدنا محمد ﷺ على أشرف الأحوال ، وأكرم الخصال ، يكلؤه الله تعالى ويحوطه من أدناس الجاهلية ومعايبها ، ومن غلظتها وخشوناتها ، ويُعدُّه الله تعالى ويُمدُّه ، لما يريده سبحانه من إكرامه بالرسالة ، حتى إنه ﷺ بلغ أنْ كان رجلاً ذا شأن عظيم ، ومقام كريم ، أفضلَ قومه مروءةً ، وأحسنهم خُلقاً ، وأكرمهم حسباً ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حلماً ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من الفحش والأخلاق الدنيئة ؛ تنزهاً وتكرماً ، حتى سمَّاه قومه : الصادق الأمين ـ وكانوا يُقرُّون له بذلك ، ويعترفون له في مواقفهم الخاصة والعامة .

روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت : ﴿ وأنذِرْ عشيرتك الأقربين ﴾ صَعِد النبي ﷺ على الصفا ، فجعل ينادي : يا بني فِهر ، يا بني عدي ، لبطون قريش ، حتى اجتمعوا ـ كلهم ـ فقال ﷺ : « أرأيتَكم لو أخبرتُكم أن خيلاً بالوادي تُريد أن تُغير عليكم ، أكنتم مصدقيَّ ؟ » .

قالوا : نعم ، ما جرَّبنا عليك إلا صدقاً . . الحديث .

فلقد أعلنوها أنهم ما جربوا عليه ﷺ إلا الصدق منذ صغره !

ومن ذلك ما رواه ابن إسحاق ، أن النضر بن الحارث قال :

يا معشر قريش ! إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعدُ ، قد كان محمد فيكم غلاماً حَدَثاً ، أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صُدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به .

قلتم : ساحر !! لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة ونَفْثهم ، وعَقْدهم .

وقلتم : كاهن !! لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة وتخالجهم ، وسمعنا سجعهم .

وقلتم : شاعر !! لا والله ما هو بشاعر ، قد رأينا الشِّعر وسمعنا أصنافه كلها ، وهَزجَه ورَجَزَه .

وقلتم : مجنون !! لا والله ما هو مجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ، ولا وسوسته ولا تخليطه .

يا معشر قريش فانظروا في شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم .

قال ابن إسحاق : وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ [1] .

ومن ذلك ما رواه ابن إسحاق وغيره ، عن المِسْور بن مَخرمة أنه قال : قلت لأبي جهل ـ وكان خالي ـ : يا خال هل كنتم تتهمون محمداً

---

(١) انظر (سيرة) ابن هشام ١ : ٣٢

بالكذب قبل أن يقول مقالته ؟ ـ أي : قبل أن يقول : إني نبي الله تعالى ـ .

فقال أبو جهل : والله يا ابن أختي ، لقد كان محمد وهو شاب يُدعى فينا : الأمين ، فلما وَخَطه الشيب ـ أي : بلغ الأربعين وقارب المشيب ـ لم يكن يكذب .

قلت : يا خال ! فلمَ لا تتبعونه ؟

فقال : يا ابن أختي ! تنازعْنا نحن وبنو هاشم الشرف ، فأطعموا وأطعمنا ، وسقَوْا وسقينا ، وأجاروا وأجرنا ، فلما تجاثينا على الرُّكَب وكنا ـ في المكارم والمفاخر ـ كفرسَيْ رِهان ـ أي : متساويين ـ قالوا ـ أي : بنو هاشم ـ: منا نبي ! فمتى نأتيهم بهذه ؟!

أي : من أين نأتي بنبي ، حتى نكون مثل بني هاشم في الفضائل .

ولما جدَّدت قريش بناء الكعبة ، وتنازعوا في رفع الحجر الأسود ، فتركوا الحكم لأول داخل من باب بني شيبة ، فإذا برسول الله ﷺ يدخل عليهم ، فقالوا كلهم : هذا الأمين وكلّنا نقبله .

وتقدم الحديث في ذلك في البحث حول أرجحية عقله الشريف ﷺ .

فكان ﷺ متصفاً منذ حداثة سِنه بالصدق والأمانة ، والعفة والحصانة ، بعيداً كل البعد عن الكذب والخيانة ، والمساوىء والأدناس .

وكان يُبعد عن الأصنام والأوثان ، وعن تعظيمها ، وعن الحلف بها ، مجانباً لما عليه المشركون .

روى الإمام أحمد عن عروة بن الزبير قال : حدثني جار لخديجة بنت خويلد قال : سمعت النبي ﷺ يقول لخديجة : « أي خديجة ! والله لا أعبد اللاتَ أبداً ، والله لا أعبد العُزَّى أبداً »[1] .

وروى البزار وغيره أنه ﷺ قال : « لستُ من دَدٍ ولا الدَّدُ مني » .

وفي رواية : « ولست من الباطل ولا الباطل مني »[2] .

وعن زيد حارثة قال : طِفْتُ مع رسول الله ﷺ ذاتَ يوم ، فمسِسْتُ بعض الأصنام ، فقال لي رسول الله ﷺ « لا تمسَّها . . » الحديث[3] .

وعن علي بن أبي طالب كرَّم الله تعالى وجهه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين ، كلتاهما عصمني الله عز وجل منهما .

قلت لفتىً كان معي من قريش ، بأعلى مكة في غنم يرعاها : أبصرْ لي غنمي ، حتى أسمُر هذه الليلة بمكة ، كما يسمر الفتيان .

قال : نعم .

---

(١) قال الحافظ الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

(٢) وتقدم الكلام على هذا الحديث .

(٣) قال الحافظ الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، وأورده الحافظ ابن كثير في (البداية) معزواً للبيهقي .

فخرجت ، فلما جئتُ أدنى دار من دور مكة ، سمعت عزفاً بالغرابيل والمزامير .

قلت : ما هذا ؟

قالوا : فُلان يتزوج فلانة .

فجلست أنظر ، وضرب الله على أذني ـ أي : فنمت ـ فو الله ما أيقظني إلا مسُّ الشمس ، فرجعت إلى صاحبي ، فقال : ما فعلت ؟

فقلت : ما فعلت شيئاً ، ثم أخبرته بالذي رأيت .

ثم قلت له ليلة أخرى : أبصر لي غنمي ، حتى أسمُر ، ففعل ، فلما جئت مكة ، سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة ، فسألت ؟ فقيل : تزوج فلان فلانة ، فجلست أنظر ، وضرب الله على أذنيَّ ـ أي : فنمت ـ فما أيقظني إلا مسُّ الشمس ، فرجعت إلى صاحبي ، فقال : ما فعلت ؟ فقلت : لا شيء ، ثم أخبرته الخبر ، فو الله ما هممتُ ولا عُدتُ بعدهما لشيء من ذلك ، حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته » .

وفي رواية : « برسالته »[1] .

---

(١) انظر ص٥١٥ من (موارد الظمآن) ، تحت عنوان : باب في عصمته ﷺ . وانظره في (البداية) لابن كثير ٢ : ٣٨٧ معزواً للبيهقي ، وانظره في (تاريخ) الذهبي ١ : ٥٠ وأورده في (مجمع الزوائد) تحت عنوان : باب في عصمته ﷺ من الباطل وقال : رواه البزار ورجاله ثقات . اهـ .